فلسطين والمسار الثوري البديل. نحو رؤية عربية وأممية

الصديقات والأصدقاء.. الرفيقات والرفاق.. تحية الثورة الفلسطينية الظافرة... تحية حركة التحرر الوطني العربية... تحية القوى الأممية الحية... تحية النضال على درب التحرير والعودة..

باسم *اللجنة المحلية للمسار الثوري الفلسطيني البديل في ألمانيا* أتحدث إليكم اليوم في عيد العمال العالمي... الأول من أيار الخالد... الذي يعلو فيه صوت الكادحات والكادحين في كل أنحاء العالم... صوت الطبقات المفقرة والمحرومة... معلنا استمرار الكفاح ضد قوى الظلم والاستغلال والاستعباد... وضد الوحشية والهمجية والتخلف التي تمثلها القوى الرأسمالية والامبريالية والرجعية.. عدوة الإنسان... وإن أسوءها وأبشعها على الإطلاق هي تلك القوى الصهيونية العنصرية التي زرعت كيانها الغاصب البغيض في قلب وطننا العربي والتي – كرأس حربة للمشروع الاستدماري الغربي – تستهدف وجود شعبنا العربي في أرضه وتعمل على إبادته وإفنائه وليس فقط السيطرة عليه وإخضاعه.. في واحدة من أشنع جرائم التاريخ البشري.

في هذه المداخلة سأتطرق بالأساس إلى مسألة البعد العربي للمسار الثوري البديل وهو بعد لا ينفصل عن البعد الفلسطيني الخاص لقضية العرب المركزية ولا عن البعد الأممي لها وكلاهما لا يقل أهمية عن موضوع حركة التحرر الوطني العربية التي لا مجال للخوض فيها دون الحديث عن دورها الرابط بين المحلي والإقليمي والعالمي. وسترتكز هذه المداخلة على ثلاثة محاور:

(1) العلاقة الجدلية بين تحرير فلسطين وتحرير الوطن العربي. (2) دور الطلائع الثورية العربية في المرحلة الراهنة من الصراع. (3) خطوات عملية من أجل تحقيق النصر على العدو.

1) العلاقة الجدلية بين تحرير فلسطين وتحرير الوطن العربي:

ليس هنا مجال الخوض في الاعتبارات التاريخية التي تمثل مقدمات ضرورية لفهم الصراع العربي الصهيوني لأن الإدراك العميق لحقائق التاريخ يقتضي العودة إلى حقب بعيدة..من صراع روما وقرطاج إلى الاستدمار الأوروبي المعاصر مرورا بالحروب الصليبية والاحتلال العثماني..وينبغي في هذا الإطار أن نشدد على مسائل ثقافية ومعرفية في غاية الأهمية مثل ظروف تشكل الهوية العربية عبر انصهار الحضارات القديمة بفعل اللغة المشتركة أو دور الموقع الجغرافي والخصائص الطبيعية في صياغة تفسير مادي أي علمي لجملة من التطورات والأحداث..كل هذا – رغم ضرورة الخوض فيه – لا يمنع أن ننتقل مباشرة إلى الأطروحة المركزية وهي من شقين: 1- *النضال العربي من أجل الحرية والكرامة والعدالة ومن أجل التقدم والازدهار هو نضال واحد في كل الوطن العربي.* وإن السؤال الذي تم طرحه في ستينات وسبعينات القرن الماضي – وبالمناسبة فإن المرحلة اليوم مشابهة جدا – وهو سؤال: هل يؤدي تحرير فلسطين إلى الوحدة العربية أم العكس؟ هو سؤال يقفز على مسألة تحرير الوطن العربي. لأن من طرحه افترض صحة مقولة استقلال الدول العربية وهي مقولة أثبت التاريخ بطلانها. إننا في الوطن العربي..في كل الأقطار العربية..لا نزال في مرحلة تحرر وطني فنحن لا نملك قرارا مستقلا ولا سيادة على وطننا. لأننا نخضع لأنظمة رجعية عميلة معادية لشعوبها وتعمل على خدمة أهداف المشاريع الاستدمارية الأجنبية. والاستدمار الجديد أو غير المباشر أو النيوكولونيالية هو الطاغي على المنطقة باستثناء فلسطين – أين نواجه استدمارا إحلاليا مباشرا – وباستثناء ما شهدناه ونشهده في العراق وسوريا وليبيا واليمن من غزو أجنبي مباشر. والشق الثاني من الأطروحة 2- هو أن *الثورة الفلسطينية هي طليعة حركة التحرر الوطني العربية.* ذلك أنها تقف في خط المواجهة الأول ضد معسكر العدو الذي يتكون من الصهيونية وكيانها ومن القوى الامبريالية والاستدمارية ومن الرجعيات العربية. وبناء على ذلك كله فإن تحرير

فلسطين..كامل فلسطين من النهر إلى البحر..هو ليس فقط واجب كل حر وشريف في العالم باعتبار دحر المشروع الصهيوني هو ضربة كبرى للرأسمالية والامبريالية العالميتين ولكن تحرير فلسطين هو واجب وطني على كل عربي وعربية باعتباره دفاعا عن نفسه ونفسها من خطر محدق وداهم إذ أن *التهديد الصهيوني هو تهديد وجودي للوطن العربي* يعمل بجد على منع كل مشروع عربي لبناء الحضارة وتحطيم كل أمل عربي في التقدم والازدهار. إن العدو الصهيوني عدو للحضارة العربية وعدو لكل طبقات المجتمع العربي وكل فئات الشعب العربي وخاصة الطبقات المفقرة صاحبة المصلحة الحقيقية في الثورة ضد الظلم والاستغلال والاستعباد. ويمكن أن نعدد هنا الأمثلة التي تؤكد وقوف العدو الصهيوني أمام كل مآسي الوطن العربي ومحنه من القصف الجوي المباشر إلى اغتيال العلماء إلى صناعة الإرهاب والمؤامرات الاقتصادية من الفساد والبطالة والهجرة إلى سد النهضة ومرفإ بيروت. ولا نفوت الفرصة هنا كي نقول لهذا العدو إنه سيدفع الثمن غاليا – عاجلا أم آجلا – ونذكره بأنه يواجه أمة عربية من نصف مليار إنسان ذات قوة حضارية ممتدة لآلاف السنين وإن انتصارنا عليه حتمية تاريخية لا يتطرق إليها الشك.

2) دور الطلائع الثورية العربية في المرحلة الراهنة من الصراع:

أولا يجب أن نرى بوضوح أن المهمة التاريخية للشعب العربي في عصرنا هذا هي *مهمة التحرير* كشرط لإمكانية البناء الحضاري بعيد المدى: تحرير فلسطين وتحرير الوطن العربي في معانيهما الشاملة أي تحرير الإنسان وتحرير العقل وتحرير الأرض. وهذا الشمول وهذا الترابط يقودان منطقيا إلى *أطروحة الثورة العربية الشاملة* ضد كل قوى معسكر العدو وكل إفرازاتها من استدمار وتبعية وتخلف. إن سبيل الانعتاق والتحرر والتقدم هو إعلان الحرب التي لا هوادة فيها ضد المشروع الصهيوني الذي يضرب كل شيء في هذا الوطن العربي الكبير. وإن غياب هذا الوعي الثوري بأننا نواجه خطرا محدقا يمثله الكيان الصهيوني بكل امتداداته لهو سبب مركزي في إجهاض مشروع الثورة العربية الكبرى التي تفجرت في أواخر 2010 وبدايات 2011 في تونس ومصر واليمن والبحرين وليبيا وسوريا والتي كان لها مؤخرا ارتدادات في لبنان والعراق والسودان. إن سببا مركزيا لانتصار الثورة المضادة وتغول العدوان الأجنبي على شعبنا العربي في كل الأقطار يكمن في تراجع الوعي الثوري بدور العدو الصهيوني في تمزيق أوصال الوطن وشن الحروب عليه بمختلف أجيالها وأنواعها. ومن الطبيعي أن هذا السبب يتكامل مع أسباب أخرى حتى يوصلنا إلى فداحة الوضع الحالي وخطورته. فالسبب الآخر للهزيمة المؤقتة هو *غياب التنظيم الثوري* القادر على قيادة جماهير شعبنا المنتفضة والقادر على ردع أنظمة الخيانة والعار التي لم تكن لتتجاسر على التحالف مع عدو الشعب العربي لولا غياب التنظيمات الثورية التي تضرب الخونة بيد من حديد. وهنا تبرز مهمة بناء التنظيمات الثورية باعتبارها القلب النابض والجوهر الحي لمهمة التحرير الشامل. وهنا يتجلى دور الطلائع الثورية العربية في حشد كل الطاقات وتوفير كل مقومات النجاح لعملية بناء التنظيمات الثورية العربية الحديثة التي تقود حركة التحرر الوطني العربية عموما وطليعتها الفلسطينية على وجه الخصوص من أجل تحقيق أهداف الشعب العربي وعلى رأسها تحرير فلسطين من النهر إلى البحر والقضاء على الكيان الصهيوني وإسقاط الأنظمة العربية الرجعية عدوة الشعب العربي وخادمة المشاريع الامبريالية. إن البحث التفصيلي في خصائص هذا الدور التاريخي للطلائع الثورية العربية – سواء كانت تناضل في داخل الوطن العربي أو في المنافي والشتات – يقتضي مجالا لا يسمح به مقام الحال. ولكن تاريخ الكفاح الفلسطيني والعربي والأممي حافل بالدروس والإشارات والمُثل العليا التي يهتدي بها اليوم عشرات الملايين من المناضلات والمناضلين وحسبنا أن نذكر مفهوم المثقف المشتبك والشهيد باسل الأعرج حتى نتبين الخيط الأبيض للردة من الخيط الأحمر للثورة في ظلام هذا الواقع الراهن الذي يتبدد شيئا فشيئا بفعل مراكمات القوى الحية لشعبنا العربي وفي طليعتها اليوم قوى المسار الثوري الفلسطيني البديل.

3) خطوات عملية من أجل تحقيق النصر على العدو:

إن تثوير الحالة العربية الراهنة – وعيا وخطابا وممارسة – يقتضي التركيز على الطبقات الشعبية والكادحة باعتبارها عماد الثورة ومادتها وصاحبة المصلحة الحقيقية في التغيير الثوري المنشود. وفي قلب عملية التثوير هذه تكمن مهام الطلائع الثورية العربية في رفع الوعي بضرورة الانتقال من عقلية التعاطف الوجداني وردود الفعل الانفعالية – التي كثيرا ما تعبر عن استفحال ظواهر التواكل وغياب المبادرة والثقة في الذات – إلى عقلية العمل الواعي المنظم الواثق في قدرة الوسائل على بلوغ الغايات. وهذا يفضي مباشرة إلى ضرورة وضع برامج محددة تتوجه بها ومن خلالها كل القوى المجتمعة على أولوية مهمة التحرير إلى عموم جماهير شعبنا في كل أقطار الوطن العربي وأماكن تواجده في أنحاء العالم. إن أبواب هذه البرامج ينبغي ألا تستثني مجالا من المجالات المعرفية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بحيث يتم الربط بصورة مباشرة بين العمل على تجاوز معضلات التنمية والتواصل والتطور وبين العمل على محاربة العدو الصهيوني باعتباره العائق الأكبر أمام تحقيق الشعب العربي لطموحاته وبلوغه لأهدافه. إن الخطوات العملية التي تتطلبها المرحلة الحالية من الصراع يجب أن ترتبط بالمحاور الأساسية للقضية الفلسطنية وعلى رأسها قضية الأسرى وقضية اللاجئين وقضية القدس. ومن إمكانيات تفعيل البعد العربي للنضال من أجل هذه القضايا نذكر الروابط التالية: 1- ارتباط تحرير أسرى الثورة الفلسطينية في سجون العدو الصهيوني بتحرير أسرى الثورة العربية في سجون الأنظمة الرجعية في الوطن العربي وخارجه. بل إن قضية الأسرى تأخذ أبعادا أخرى إذا نظرنا إلى مفاهيم "السجن الطبقي" و"سجن العقل" التي لاتقل وطأة عن السجن المادي. 2- ارتباط عودة اللجئين الفلسطينيين إلى ديارهم وأراضيهم بعودة اللاجئين والمهجرين العرب إلى وطنهم وإيقاف نزيف العقول وهجرة الأدمغة وتوحيد الطاقات العربية في كل العالم في أطر تنظيمية شعبية وفاعلة تكون بديلا ثوريا عن المؤسسات العميلة لما يسمى بالنظام الرسمي العربي. 3- ارتباط قضية القدس بمقاومة كل مظاهر التعامل والتعايش مع العدو الصهيوني وردع الخونة والمنبطحين ومعاقبتهم باعتبار القدس لا تمثل فقط العاصمة الأبدية لفلسطين بل هي العاصمة الحضارية للوطن العربي والرمز الأول لإصرار الشعب العربي على النصر في حرب الوجود التي تشنها ضده القوى الامبريالية والصهيونية. إن الإقدام على تطبيق هذه الخطوات العملية وغيرها يعني *تكثيف التواصل بين القوى الثورية العربية* في كل مكان على قاعدة القواسم المشتركة التي يطرحها المسار الثوري الفلسطيني البديل والتي لا تمثل فقط ثوابت النضال التاريخي من أجل تحرير كامل فلسطين ولكنها أيضا تشكل الجسور التي تربط بين مختلف مكونات حركة التحرر الوطني العربية. فالعودة إلى الميثاق الوطني الفلسطيني هي عودة كل العرب إلى نهج المقاومة والتصدي للعدوان الغاشم والمستمر على الوطن العربي الكبير. وإن شحذ الهمم وأخذ التعبئة العامة مأخذ الجد لهي اليوم مهام ملحة من أجل إعداد أجيال جديدة من المقاتلين بالفكر والساعد تقلب موازين القوى الراهنة رأسا على عقب وتكتب تاريخا جديدا لعموم الشعب العربي وكامل الحضارة العربية.

أيمن رميدة

دسلدورف في 01 أيار / مايو 2021